الفصل الرابع

تسرب المعتقدات والطقوس الوثنية إلي الفكر اليهودي

الفصل الرابع

تسرب المعتقدات والطقوس الوثنية
الي الفكر اليهودي

عاش بنو إسرائيل فى مصر زمنا طويلا وكونوا مجتمعا خاصا بهم فيها، وبمرور الزمن إنحرف عدد كبير منهم عن ديانة التوحيد وملة أبيهم إبراهيم وشاركوا المصريين فى عبادة الآلهة المصرية وأداء الطقوس الوثنية فى المعابد، ولم يسلم من هذه المشاركة إلا القليل الذين إستطاعوا أن يحافظوا على عقيدة التوحيد والعبودية الخالصة لله تعالى، وكان من بين هؤلاء موسى وهارون، وولع العبرانيون خاصة بعبادة العجل أبيس معبود شرقى الدلتا وأقاموا له الطقوس حيث أنهم كانوا رعاة ويمثل البقر عندهم قيمة كبيرة، وحتى عندما شق الله سبحانه وتعالى لموسى البحر وجعل منه طريقا يابسا يجتازونه إلى سيناء هربا من فرعون، وغرق فرعون وجنوده أمام أعينهم، لم يثنهم ذلك عن إعتقادهم فى ألوهية العجل أبيس، وانتهزوا فرصة غياب موسى عنهم وذهابه لميقات ربه، فصنع لهم السامرى عجلا من ذهب وعكفوا على عبادته حتى رجع موسى إليهم وحطم إلههم المزعوم هذا، وتكررت دعوتهم لموسى بأن يجعل لهم آلهة كما كان لبدو سيناء آلهة، لأن الوثنية كانت متمكنة من قلوبهم، وبعد دخولهم إلى فلسطين وإنشائهم دويلتيهم على أرضها (دويلة إسرائيل فى الشمال ودويلة يهوذا فى الجنوب) أخذ الشعب يحن إلى الوثنية، وكان الكثير منهم يقيم الطقوس لعبادة الإله بعل إله الكنعانيين والإله عشتروت إله الكلدانيين.

وبعد القضاء على دويلتيهم ونفيهم الى بابل، إختلطوا بأهل بابل ومارسوا معهم طقوسهم الدينية الوثنية رغم أن الله سبحانه وتعالى كان يرسل إليهم فى سنى النفى نبيا من حين إلى آخر، وكتبت أسفار التلمود (٣٤ سفرا) فى فترة النفى البابلى، لذلك من يقرأ هذه الأسفار يشعر بالتخبط ودخول الأفكار والروايات الوثنية إليها، وعدم تجانسها وتناقض ما جاء فيها من أخبار وتواريخ.

وقد تم ضم الأسفار الجديدة الأربعة والثلاثون بعد ذلك إلى أسفار التوراة الخمسة وأطلق عليها جميعا اسم العهد القديم، والتوراة لفظ سامى معناه (الناموس)، لأنه كما سبق أن ذكرنا يتناول فى أسفاره الخمسة أصل الكون وتاريخ العالم ودخول الشعب اليهودى إلى أرض كنعان- كما تحتوى على أسس ديانة التوحيد والشريعة اليهودية.

أما كلمة يهود فمشتقة من لفظ (يهوه) وهو اسم الله تعالى باللغة العبرية، وفيما بعد أطلقوا فى مملكة إسرائيل الشمالية لفظ (ألوهيم) للدلالة على الله سبحانه وتعالى بدلا من يهوة، وظل إستعمال اسم يهوة مقصورا على الإسرائيليين من سكان مملكة السامرة فى جنوب فلسطين، ولما تغلغلت الوثنية فى قلوبهم أخذوا يفعلون كما يفعل سكان الممالك الوثنية المجاورة حيث أن لكل بلد منها إله خاصا بها يعيد من دون الآلهة فى الممالك الأخرى، وهكذا فعل الإسرائيليون، فأهل الجنوب يعتبرون يهوة هو إلههم من دون الناس، والشماليون إعتبروا ألوهيم إله خاصا بهم، والكل يعتبر أن الرب (رب بنى إسرائيل) هو رب إسرائيل من دون سائر البشر، و أنهم هم شعب الله المختار أما باقى شعوب الأرض فيطلقون عليهم اسم (الأغيار)، والبشر الموجودون فى سائر بلاد الأرض (الأغيار) ليس لهم وزن ولا قيمة، والرب يعتبرهم كالحيوانات، وأنه سبحانه وتعالى قد ندم على خلقه لهم، لذلك فدمائهم وأرضهم وأموالهم حلال لليهود، لذلك حرموا الربا فيما بينهم ولكنهم أحلوه لأنفسهم إذا إكتسبوه من الأغيار، كذلك فإن الحصول على أموال الأغيار بأى طريقة يعتبر حلال لهم، وهكذا عاش اليهود فى جميع الأزمان يكرهون البشر والبشر يكرههم، وإذا ما تواجدوا فى مجتمع ما، عزلوا أنفسهم عن المجتمع المحيط بهم وعاشوا فى أحياء خاصة بهم تسمى (الجيتو)، وأخذوا يمارسون جمع الأموال عن طريق الإقراض بالربا ومن مجال القمار ومن تسخير بنات الأغيار للعمل بالدعارة، كذلك فإنهم فى سبيل جميع الأموال قد تخصصوا فى إثارة الفتن والحروب فى كل مكان فى العالم ليكتسبوا الأموال من تجارة السلاح والتجسس، وإفتعال الأزمات الإقتصادية، وأصبح المال هو معبودهم المفضل فى كل مكان يتواجدون فيه، وطغى حبهم للمال على حبهم وإخلاصهم لله سبحانه وتعالى، لأن الرب لا يحاسبهم على ما يفعلونه بالأغيار، لأنهم شعبه المختار، وقد عقد معهم عقد إتفاق يسيدهم به على جميع شعوب الأرض وإليك ما جاء عن هذا العقد فى أسفار العهد القديم:-

عقد إتفاق بين الرب وشعبه المختار:-

جاء فى سفر التكوين الإصحاح السابع عشر ما يلى:-

(ولما كان إبرام إبن تسعة وتسعين سنة، تجلى له الرب وكلمه وقال له:- لا يكون إسمك أبرام بعد اليوم، بل سيكون إسمك إبراهيم (إبراهام) لأنك أب جمهور من الأمم وسأنميك جدا جدا وأجعلك أمما وملوك منك يخرجون وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك أجيالهم عهد الدهر، لأنى لك إلها ولنسلك من بعدك، وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكا مؤبدا وأكون لهم إلها).

هذا هو العهد الذى أبرمه الرب مع إبرام والذى تتكرر الإشارة اليه فى معظم أسفار العهد القديم وأن الله قد اختار شعب إسرائيل شعبا له وإختار لنفسه أن يكون إلها لهم، وفى مقابل هذه الصفقة الرابحة يعطيهم إلههم أرض كنعان ملكا خاصا لهم ويجعلها تفيض لبنا وعسلا، ويكثر عددهم حتى يجعلهم يفوقون نجوم السماء ورمال الصحراء عددا، هذا هو العهد الذى قطعه الرب على نفسه والذى يصفه رجال الدين اليهود بأنه عقد زواج حيث تكثر الإشارة فى أسفار العهد القديم إلى زنا إسرائيل وأن إله إسرائيل قد أعطاها كتاب الطلاق وأنه سيعود لزواجها بعد أن يرضى منها.

وإختصاص إله بشعب أو بقبيلة من القبائل هو طابع كل المعتقدات الوثنية فى العصور القديمة، فلكل مدينة أو لكل مجتمع إلهه الخاص به الذى يحميه ويرعاه ولا يدين هذا المجتمع لغيره من الآلهة بالعبودية.

وهذه الآلهة القبلية تغار من الألهة الأخرى وتشتبك مع بعضها فى حروب كثيرة، وقصة إيزيس وإيزوريس وحوريس معروفة فى الديانة المصرية القديمة.

ولكن هذه الفكرة الساذجة تطورت مع الزمن ومع إتساع تجارب الإنسان حتى وصلت وحدانية الله تعالى إلى ذروتها فى العقيدة الإسلامية، فالله سبحانه وتعالى هو رب العالمين جميعا الذى جعل منهم شعوباوقبائل ليتعارفوا، ولا فضل لعربى على عجمى ولا أحمر على

أبيض ولا أسود إلا بالتقوى، والناس سواسية كأسنان المشط، وكلهم لآدم وآدم من تراب، هذه هى قيم الإسلام الراقية الخالدة.

نقض اليهود لعقد إتفاقهم مع الرب:-

تعترف أسفار العهد القديم بنقض اليهود لعقد الإتفاق مع الرب، وتركهم عبادته ونبذهم وصاياه وهجرهم للشريعة اليهودية وعبادتهم آلهة الشعوب الأخرى، فاستحقوا لذلك غضب الرب الذى شتتهم فى جميع بقاع الأرض، وأزال دويلتيهم وأذلهم.

ففى أراميا الإصحاح الثالث يقول أراميا

(أسمعوا كلمة الرب ياآل يعقوب وياجميع عشائر آل إسرائيل -هكذا قال الرب، ماذا وجد فى آبائكم من الظلم حتى إبتعدوا عنى واقتفوا الباطل وصاروا باطلا، لقد أدخلكم أرض كرمل (فلسطين) لتأكلوا ثمارها وطيباتها، لكنكم ظلمتم ونجستم أرضى وجعلتم ميراثى رجسا، الكهنة لم يقولوا أين الرب، ودارسوا الشريعة لم يعرفونى، والرعاة عصونى فيه، لذلك أخاصم بنى بنيكم).

ويمضى نبى بنى إسرائيل أراميا يقول فى نفس الإصحاح (قال لى الرب هل رأيت ما فعلت المرتدة إسرائيل، كيف إنطلقت إلى كل جبل وإلى تحت كل شجرة خضراء زنت هناك، وبعد أن صنعت ذلك كله قلت لها إرجعى ولم ترجع، ورأت أختها الغادرة يهوذا (دويلة اليهود الجنوبية) أنى بسبب المرتدة إسرائيل (دويلة اليهود الشمالية) قد سرحتها ودفعت اليها كتاب الطلاق (أى ألغى عقد الإتفاق) فلم تخس يهوذا ما حل بأختها بل ذهبت وزنت هى أيضا، ولاستسهالها الزنى نجست الأرض وزنت مع الحجر ومع الخشب.).

ويقول أراميا كذلك فى الإصحاح السابع: **(أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون الزور وتقدمون القرابين لبعل وتتبعون آلهة أخرى لم تعرفوها. لقد جعلتم هذا البيت الذى دعى باسمى (أى هيكل سليمان)** مغارة للصوص أمام أعينكم.)

ويقول نبى اليهود أشعيا فى الإصحاح الأول أشعياء:-

(كيف صارت المدينة الأمنة زانية وقد كانت مملوءة إنصافا، وفيها مبيت العدل، أما الآن ففيها قتلة، ورؤساؤك عصاة وشركاء للسراق، كل ركب الرشوة لا ينصفون اليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم) . وفى إصحاح «عدد – ٣٥»:

وأقام بنو إسرائيل يشطيم (وهى فى طريقهم من سيناء إلى فلسطين) فأخذ الشعب يفجرون مع بنات مؤاب، اللواتى دعون الشعب إلى أن يذبح لآلهتهن، وتعلق بنو إسرائيل بالإله بعل فاشتد غضب الرب على إسرائيل.

وهكذا تحفل أسفار العهد القديم بخروج بنى إسرائيل عن طاعة الرب ونبذهم لأحكامه وولعهم بالزنا وعبادتهم لآلهة الأمم الأخرى حتى فى عهودهم الأولى من دخول فلسطين.

تصوّر صورة الرب كما يتصوره الشعب الوثني في بابل:-

سبق لنا أن ذكرنا أن كتاب العهد القديم يحفل بالصور غير اللائقة لله سبحانه وتعالى وكأنه أحد آلهة بابل له صفات بشرية وسلوك إنسانى ومما لاشك فيه أن ذلك التصور قد تسرب إلى العهد القديم فى عصر السبى البانى والذى أعيد فيه كتابة التوراة وباقى أسفار العهد القديم ففى واقعة صعود موسى إلى جبل سيناء لميقات الرب واصطحابه لسبعين رجلا من بنى إسرائيل لشهود هذا الموقف الرهيب، تدعى التوراة أن هؤلاء الرجال رأوا الله سبحانه وتعالى، إذ جاء فى «إصحاح ٢٤– خروج» ما يلى:

(وقال الرب لموسى إصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو (وهما الإبن الأول والثانى لهارون) وسبعون من شيوخ إسرائيل واسجدوا من بعيد، وليقترب موسى وحده الى الرب وهم لا يقتربون، وأما الشعب فلا يصعد معه، ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق من الشفاف وكذات السماء فى النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل، فرأو الله وأكلوا وشربوا) .

وهذا الكلام العجيب الذى ورد فى هذا الاصحاح يتعارض مع ما جاء فى نفس الإصحاح « ٢٣ : ٢٠»:– **(لأن الإنسان لا يرانى ويعيش)** .

ومع هذا يبرر بعض مفسرى الكتاب المقدس هذا الكلام (جاميسون وفاوست فى تفسير الإنجيل ص ١٠٦) فيقولان:- «إن ما رأوه هو رمز لمجده وبهائه كشفه لهم ورأوا عرشه مصنوعا من الياقوت الأزرق وهو أغلى أنواع الأحجار الكريمة». ولعل فى ذلك أكبر دليل على نزعتهم إلى تصور الإله فى صورة بشرية، وهذا الكلام يدحضه القرآن الكريم «فى سورة البقرة ٥٥، ٥٦»: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

ومن هذه التصورات الوثنية لطبيعة الإله ما ذكرته التوراة بعد ذلك من أن بنى إسرائيل جميعا شهدوا تجلى الله على الجبل وسمعوا صوته وهو يكلم موسى ولكن عن بعد، فقد جاء فى «إصحاح خروج ١٩: ٩»:-

(فقال الرب لموسى ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضا الى الأبد، وأخبر الرب موسى أن يأمر بنى إسرائيل فليتطهروا لمدة يومين لأنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء. وتقيم للشعب حدودا من كل ناحية قائلا إحترزوا من أن تصعدوا الى الجبل أو تمسوا طرفه. وفعلوا كما أمر الرب وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أن صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدا، فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة (أى المكان الذى كانوا به). وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله، فوقفوا فى أسفل الجبل، وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدا، فكان صوت البوق يزداد إشتدادا جدا وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت. ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل ودعا موسى إلى رأس الجبل فصعد موسى فقال الرب لموسى إنحدر حذر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون. فقال موسى للرب لا يقدر الشعب أن يصعد إلى جبل سيناء لأنك حذرتنا قائلا أقم حدودا للجبل وقدسه).

ومن يتأمل ما جاء فى التوراة بهذا الخصوص لابد أن يذهب بفكره إلى بابل الوثنية والتى أعاد فيها كاتبوا التوراة كتابتها فى عهد السبى البابلى، ومن معتقدات البابليين الوثنية

إعتقادهم فى وثن يقدسونه هو إله الربوات وهو إله المناطق الشمالية من بابل التى تكثر فيها الرعود والبرق فوق قمم الجبال، وهذه الرعود والبروق بزعمهم تحدث الناس وتحثهم على تقديم القرابين لهذا الإله فى المعابد، أما ما يدعونه من سماعهم صوت البوق الشديد للرب وهو يكلم موسى فهو أيضا ما يعتقده أهل بابل عندما تشتد الرياح فى قمم الجبال ويسمعون مثل هذا الصوت الذى يؤمنون بأنه صوت إله الربوات يحدث الكهنة الذين إنفردوا بفهم لغته دون باقى أفراد الشعب.

الرب يتعب من العمل ويستريح:-

من المعروف أن كهنة بنى إسرائيل قد قاموا بإعادة كتابة التوراة فى بابل فى عهد الأسر البابلى، ومن ذلك ما أعادوا كتابته وصياغته فى القرن السادس قبل الميلاد ودسوا أثناء هذه الكتابة الكثير من الخرافات الوثنية البابلية منها ما جاء فى سفر تكوين من أن الله خلق الكون على مراحل، فى كل يوم من أيام الأسبوع بدءاً من يوم الأحد يخلق مرحلة، ثم يراجع ما خلق فى آخر اليوم فيراه حسنا، ثم يبدأ فى اليوم التالى بخلق مرحلة جديدة ويراجع نفسه فى آخر اليوم فيرى ما خلق حسنا وهكذا حتى أتم خلق العالم فى اليوم السادس (يوم الجمعة) وكان قد تعب من العمل، فاستراح يوم السبت من تعبه، ولذلك فرض هذا اليوم يوم عطلة لبنى إسرائيل لأنه هو أيضا لا يمارس عملا فى هذا اليوم، ونكتفى هنا بسرد ما ورد فى الآيات «من ٢٤ إلى ٣٤ فى سفر تكوين» **(قال الرب: لتخرج الكائنات الحية كجنسها بهائم ودبابات ووحوش كجنسها. ورأى الله ذلك أنه حسن، وقال الله:- لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. ويتسلطوا على سمك البحر وعلى طيور السماء وعلى البهائم وعلى كل الوحوش والدبابات التى تزحف على الأرض.**

فخلق الإنسان على صورته. وعلى صورة الله خلقه، ذكر وأنثى خلقهما. وباركهما الله وقال لهما: أثمرا وأكثرا واملأ الأرض وأخضعاها وتسلطا على سمك البحار وطيور السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض وقال الله:- إنى قد أعطتكما كل بقل - يحمل بذرا على وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر ويحمل بذرا.

لكما يكون طعاما. ولكل الوحوش ولكل طيور السماء ولكل دبابة على الأرض وكائن حى أعطيت كل خضرة النباتات طعاما. وكان ذلك ورأى الله ما عمله فإذا هو حسن جدا. وكان مساء. وكان صباح اليوم السادس. فأكملت السموات والأرض بكل جندها. وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه إستراح من جميع عمله للخلق، هذه مبادىء السموات والأرض حين خلقت).

من هنا جاء يوم الراحة عند اليهود هو يوم السبت أو «شباط» كما يسمونه ومن هنا يتضح مدى الإفتراء الذى إفتراه هؤلاء على الله سبحانه وتعالى ومدى تأثرهم بالروايات البابلية الوثنية عن الخلق والخالق، فهو -جلت قدرته- قد خلق الإنسان على هيئته وصورته تماما مثل الإله «عشتار» إله البابليين- وأنه سبحانه وتعالى يجرب فى خلقه ويحسن ويراجع ما يعمله فى كل يوم فى نهاية هذا اليوم ويراه حسنا، ثم تعب من عمله المتواصل على مدى ستة أيام فاستراح فى اليوم السابع، وكأنه بشر يتعب ويستريح، سبحانه وتعالى عما يقولون وتعالى علوا كبيرا. أين هذه الأساطير والخزعبلات مما جاء به الإسلام من تنزيه الله سبحانه وتعالى والوصول بالفرد المسلم إلى قمة التوحيد، ويقول الله تعالى فى القرآن الكريم ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ *(ق ٣٨)*.

أى أن الله تعالى ليس كأحد من خلقه يحل به التعب فيستريح وهذا دحض لهذه الفدية الإسرائيلية الشنيعة التى لا يصدقها عقل سليم، ولكنها تسربت إلى الفكر اليهودى من المعتقدات الوثنية وتصور الوثنيين لألهتهم، وإضفاء الصفات البشرية عليهم.

ولكن الفكر الإسلامى القويم ينزه الخالق جل وعلا من كل هذه الأباطيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ *(الشورى ١١)*.

فكيف يشبهون الله تعالى بالإنسان ويدعون أن الله تعالى قد خلق آدم وحواء على هيئته وصورته، أليست هذه وثنية.

تصوير الرب كما تصور الأساطير البابلية ألهتها وولعهم بالشر وسفك الدماء

فقد جاء فى «أشعيا- ٦٦، ما يلى:-

(لأن هو ذا الرب يأتى ومعه النار وعجلاته كالزوبعة ليبلغ غضبه بحنق وإنتهاره بلهب النار لأن الرب بالنار والسيف يخاصم كل البشر ويكون قتلى الرب كثيرون) .

هذا هو بالضبط ماتدعيه الأساطير البابلية عن بعض آلهتها المولعة بسفك الدماء لإظهار قوتها وتفوقها على باقى الآلهة الضعيفة المسالمة، مثل الإله البابلى إيروا رب الحرب.

خلو عقيدة اليهود من الإيمان بالبعث والحساب والجنة:-

من يطالع نصوص العهد القديم بدقة نصا نصا لا يجد فيها حديثا عن خلود الروح بعد الموت فضلا عن القول بالبعث والحساب والعقاب فإما إلى الجنة أو النار وهو مانراه فى كافة الأديان السماوية.

وكل النصوص المتعلقة بالعقاب والثواب يكون مسرحها الدنيا لا الأخرة، فإذا عبد بنو إسرائيل الرب ونفذوا وصاياه وحفظوا سبوته التى هى مظهر العهد بينه وبينهم، يجعل الأرض تدر عليهم لبنا وعسلا ويمكنهم من باقى الشعوب المجاورة وينصرهم على هذه الشعوب بذنوب هذه الشعوب فيذلهم بنو إسرائيل ويسخرونهم ويستعبدونهم، ولكن عندما يعصى بنو إسرائيل الرب إليهم يسلط عليهم الشعوب المجاورة تقتلهم وتستعبدهم وتهدم مدنهم، فإذا عادوا إلى الرب أعادهم وهكذا. أما الجنة التى يحلم بها اليهود فهى كائنة على هذه الأرض وفى بيت المقدس بالذات.

وقد نجد إشارة هنا أو هناك مثل القول بأن (الذى ينزل إلى الهاوية لا يصعد)، أو كالحديث عن وجود جب فى الأرض السفلية ونار يهوى إليها العصاة ولا يرجعون منها، ولكن هذه إشارات عابرة تسربت الى الكتابات اليهودية من المعتقدات البابلية، ولكننا لا نجد حديثا عن البعث والحساب والثواب والعقاب كهذا الذى نجده فى الإسلام بل انه ليصادفنا فى

،سفر الجامعة، هذه العبارة التى تقطع بأن اليهود لا يعرفون جنة ولا نار ولا خلودا بعد الموت:-

(لأن ما يحدث لبنى البشر يحدث للبهيمة، وحادثة واحدة لهم، موت هذا كموت ذاك، ونسمة واحدة للكل، فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل، يذهب كلاهما الى مكان واحد، كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما، فرأيت أن لا شيء خير من أن يخرج الإنسان بأعماله لأن ذلك تصيبه، لأنه من يأتى به ليرى ما سيكون بعده ؟.

كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا إختراع فى معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنت ذاهب إليها).

من لذلك يتضح أنه لا يوجد فى كتابهم الحالى ما يدعوهم إلى الإيمان بأنهم يبعثون وأن هناك ثواب وعقاب، وهذا من أسباب تمردهم الدائم وعصيانهم للرب وانكبابهم على الشهوات وحبهم لجمع المال.

ولنرجع الى المعتقدات البابلية الوثنية التى كانت مصدرا لكاتبى التوراة فى عصر السبى البابلى عندما أعادوا كتابتها وزادوا عليها أسفار العهد القديم ،ففى هذه البلاد لم يكن هناك إعتقاد فى بعث أو حساب فى حياة أخرى*، مقر الجسد القبر حتى يبلى، أما الروح فتنتقل إلى عالم سفلى هو عالم الأروح تخلد فيه، وليس هناك فى معتقداتهم إشارة واضحة إلى زيارة الروح للجسد بين حين وآخر أو وجود حياة أخرى، تعود فيها الروح إلى الجسد الذى كان لها فى الدنيا فالجسد مصيره إلى الأرض التى لا رجعة منها، والأرواح أيضا فى عالم لا رجعة منه، وهكذا لا ثواب ولا عقاب، فإذا كان الأمر كذلك فإن الحياة الدنيا فى رأيهم هى موطن الراحة والتعب، يلقى الإنسان فيها ما يلقى ولا ينتظره من بعدها شيء، لا أمل لمهضوم حق فى أن ينال تعويضا عن الظلم الذى لحق به، ولا لمعذب فى سبيل الحق أن ينال جزاءً حسنا، ولا عقوبة لمجرم إستطاع أن يضلل العدالة فى الدنيا، فليس هناك حساب دقيق للحسنات أو السيئات، وليس هناك إله ترعى عينه كل شيء وتحصى كل شيء ولا تغفل عن

* مصر والشرق الأدنى القديم ميخائيل إبراهيم.

شيء، فلا عقاب لمسيء ولا ثواب لخير لم ينل ثوابا في حياته، إذا فكل الأعمال مردودها هنا على الأرض، فثمن الفضيلة وجزاء الرذيلة هنا على الأرض، وفى الواقع فإن عدم وجود حياة أخرى كان هو المعتقد السائد فى كل شعوب العالم القديم ماعدا مصر. أما الشرائع فكانت تؤكد على ضرورة طاعة الملك وتركز على تقديم القرابين للآلهة، وبالطبع كان الكهنة هم الذين يأخذونها، هذا الإعتقاد الخاطىء بعدم وجود حياة آخرة هو الذى أشاع الظلم والفساد فى الأرض وأشاع التجبر والاستعباد، وليس للعدل ولا للرحمة مكان والشعب المطحون لا يملك إلا شرب الجعة والنبيذ.

ومن هذا الإستعراض يتبين لنا المصدر التى تسربت منه هذه الأفكار إلى أسفار العهد القديم، وهذه الأفكار أيضا هى السر فى الفساد الذى يستشرى فى المجتمعات اليهودية وحرصهم على جمع المال بجميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وارتكابهم لجميع الجرائم من قتل وإبادة لغيرهم فى سبيل الوصول إلى أهدافهم.

الإستغراق في الطقوس:-

من يطالع العهد القديم بدقة فلابد أن يشم رائحة الوثنية التى حرف اليهود اليها دينهم القويم، فجعلوا محور عبادتهم تابوتا يطلقون عليه تابوت العهد، ويخصصون فصولا طوالا فى وصف هذا التابوت، ومن الذى يقترب منه وكيف أن من يلمسه يموت، وهيئة المذبح وخيمة الإجتماع ويخصصون قبيلة معينة من قبائلهم هم اللاويون- ليكونوا هم الكهنة حراس التابوت والعهد المتحدثين باسم الله.

وأحاديث كثيرة من تقديم الذبائح للرب وكيف يتصرف فى دمائها وما يؤكل منها وما يحرق، ومن الذى يأكل ومن الذى لا يأكل.

وما من حركة إلا والهيكل هدفها، وتقديم الذبائح والقرابين أسلوبها.

واحتفالات بعد ذلك تلو إحتفالات تفيض بالطقوس والإجراءات، وعلى رأسها عيد الفصح وهو ذكرى خروج بنى إسرائيل من مصر، ويخصص اليهود أسبوعا لهذه الإحتفالات يأكلون فيه خبزا غير مختمر أو فطيرا..